في الخطاب الأمازيغي: وجهة نظر نقدية

محمد الولي

أقيموا، بني أمي، صُدورَ مطيِّكم / فإنّي إلى قومٍ سواكم لأَميلُ

الشنفرى

الأمازيغية بين العربية والفرنسية

الأمازيغية هي إحدى اللغات الساميّة الحاميّة، والركيزة الأساسية للهوية الأمازيغية في المغرب والجزائر خاصةً. كما تتمتع بوجود محدود جدًا في تونس وليبيا ومصر وموريطانيا والسنيغال ومالي ونيجيريا. إلاّ أنّ المنافحين الأمازيغ عن هذه اللغة قلّما أشاروا إلى أنّ الهيمنة الحقيقية في شمال إفريقيا هي للفرنسية: فهي في المغرب لغةُ العلوم والطبّ والصيدلة والهندسة والإعلاميات ومدارس التدبير الإداري. وهي اللغة المعتمدة في جزء هامّ من شُعَبِ كليّات الحقوق في المغرب كلّه؛ إضافةً إلى وجود حوالي أربع عشرة شعبة للغة الفرنسية في كل كليّات الآداب بالمغرب. وهي لغة الجزء الأكبر من الإدارة العمومية، ولغةُ «الجريدة الرسمية» المغربية إلى جانب العربية. والفرنسية هي لغة نصف التعليم الابتدائي والثانوي الجامعي. وهي تحتلّ مواقع رفيعة في الإعلام التلفزي والصحافة اليومية والراديو. وهي اللغة التي يعتمدها كثيرٌ من أدباء المغرب في الشعر والرواية والنقد. بل اللافت أنّ القوميين العرب والإسلاميين على اختلاف مذاهبهم، والأمازيغيين بمختلف نِحَلهم، متفقون على هذا الأمر: «الفرنسية أولاً!» وفي بعض الأحيان «الإنجليزية أولاً أو ثانيًا!» وبعد ذلك تأتي العربية لأجل التواصل مع... العامة!

وعلى كلّ حال، فإذا كانت العربية تتمتع بمكانة أدنى من الفرنسية، فإنّها تحتلّ مكانةً أرفعَ من الأمازيغية؛ وذلك لأنّ العربية ـ طبعًا ـ هي لغةُ القرآن والطقوس الدينية، وهي اللغة الرسمية للوطن بحكم القانون، وهي فوق هذا وذاك لغةُ التدريس في مجال الإنسانيات وكليّات الشريعة، وهي لغة القضاء والأدب والشعر والصحافة والتلفزيون ... إلخ، وهي اللغة التي يخاطِبُ بها الملكُ الشعبَ.

الأمازيغية... نضاليًا

في هذا الوضع، الذي تبدو فيه العربيةُ والأمازيغيةُ مظلومتيْن بنسب متفاوتة مقارنةً بالفرنسية، فإنّ أغلب خطاب الحركات الأمازيغية يسدِّد ضرباته الظالمة للعربية لا للفرنسية، رغم أنّ هذه الأخيرة هي التي تهيمن في غير موطنها ولها في المغرب وجهٌ استعماري رغم أهميته العلمية. ومع هذا، فإنّ وضع الأمازيغية صعبٌ جدًا بسبب هذا الحرف الجديد (تيفيناغ) على الشعب. إلاّ أنّ أحدَ عوامل الإحباط هو أنّ مؤسسات التدريس والبحث قد قررتْ أن تضع حدًا للتعدد «اللهجي» ـ وهو التعدد الذي يجعل متحدِّثًا من جنوب المغرب في سوس والآخر من الشمال في الريف لا يتفاهمان إلاّ بنسب ضعيفة جدًا. صحيح أنّ أصل هذه «اللهجات» واحد وهو الحامية السامية (دَعْكَ من الأصول المختلقة الاستعمارية الباسكية أو السلْتِيّة)، إلاّ أنّ العزلة التي عمرتْ قرونًا جَعلتْ كلَّ فرع يشقّ طريقَه باستقلال عن الفروع الأخرى، حتى وصل إلى درجة التميّز شبه التامّ. يقول ليونيل غالان Lionel Galand: «ترتبط لهجاتُ السكان البالغةُ الاختلاف فيما بينها بسمات لغوية مشتركة تؤَمِّن وحدةَ الأمازيغية. غير أنّ واقعها يوفِّر فيضًا من اللهجات المحلية تصل إلى أربعة أو خمسة آلاف لهجة حسب أنْدري باسيه، لكلّ قبيلة ولكلّ قرية لهجتُها...»(١)

والحقّ أنّ التوحيد المستهدف اليوم يعتمد على التدخل الإرادوي الذي يُنْجزه الباحثون اللغويون المتمتعون بتزكية ما، وهذا بدوره يستجيب لضغط الجمعيات الأمازيغية. يقول أحد أقطاب هذه الجمعيات السيد إبراهيم أخياط: «الوطن بالنسبة إلينا يبتدئ من سيوَة بمصر حتى جزر الكناري... وشعبنا هو الشعب الأمازيغي، ساكنةُ هذا الوطن الذي تعَرَّف واحْتَكَّ بعدة ثقافات أثَّرتْ فيه وأثَّر فيها، ولكنْ في النهاية هو شعب له خصوصيتُه وهويتُه. لذلك فنحن بالطبيعة سنواجه كلَّ التوجّهات الراغبة في سلب هذه الهوية أو احتوائها أو إقصائنا كثقافة، كهوية، كحضارة.»(٢)

١ ـ **Universalis**, p.1009

٢ ـ جريدة **النهار**، العدد ٢٠٠٤/٣/١٩.

في الخطاب الأمازيغي: وجهة نظر نقدية

لكنّ السيد أخياط لم يتساءل عن عدد المتكلمين بالأمازيغية، فالحال أنْ لا أحد يتكلم بها بل بالإسبانية! على أنّ الأهمّ هو أنّ هذا الخطاب يتناول الأمازيغ وكأنّهم **وحدهم** أغلبيةُ السكان، ولا حديث عن المكوِّن العربي إلى جانبهم. بل الأغرب هو أن يمتدّ وطنُ أمازيغ المغرب، في تصريح أخياط، من شاطئ الأطلسي إلى سِيوَة غرب مصر. فما قوله، إذن، في عرب المغرب، إلى اين امتدادهم؟ الواقع أنّ مقتضى هذا الخطاب هو ألاّ وجود للعرب في المغرب! ويقول أحدُ المتشددين الغلاة: «كل المغاربة أمازيغ.»[١] ولكنّنا نشير إلى أنّ أكثر الباحثين يقدِّرون عددَ الأشخاص الذين يتحدّثون الأمازيغية لغةً أولى بـ ٤٠٪ (غالان)[٢] أو ٤٥ ٪ (بوسكيه).[٣] وحينما نستند على هذا، لا يمكن المرءَ إلاّ أن يندهش أمام خطاب المناضلين الأمازيغيين الذين يتحدثون عن الهوية الأمازيغية للمغرب وكأنّها هويةُ **كلّ** المغاربة. هذا الخطاب أدعوه كليّانيًا لتجاهل التعدد الهوياتي في المغرب تجاهلاً تامًا ولاعتباره العربية مجردَ كُسُور قابلة للإهمال. فلنتأملْ قولَ أحدهم: «وأولُ ما ينبغي على السلطة بالمغرب القيامُ به، حتى لا تبقى رهينةً لابتزاز التيارات القومانية والإسلاموية، هو الانسحابُ مما يسمى 'الجامعة العربية' التي لا وجود لها على مستوى الأثر والفعل والنتائج، والإعلانُ رسميًا ودستوريًا على أنّ المغرب مملكة أمازيغية. أما هؤلاء الذين يُعْطُون الأسبقيةَ لمشاكل الشرق على المشاكل الداخلية للوطن، فما عليهم ـ حتى يكونوا منطقيين مع أنفسهم ـ إلاّ أن يرحلوا عن المغرب ويغادروا إلى الأبد، وليستقروا بفلسطين أو العراق أو أفغانستان، التي هي مواطنهم الروحية، مادام المغربُ يستحيل أن يكون هو فلسطين أو العراق أو أفغانستان [!]»[٤]

أقلُّ ما يُمْكن أن يوصَفَ به هذا الخطابُ هو الإقصائية والتلويح بما لا تُحْمد عقباه؛ أي المطالبة بإعلان المغرب مملكةً أمازيغيةً، والتنكّر التامّ للانتماء المتعدد للمغرب ـ وأعني إلى العروبة والأمازيغية والإسلام. وإنّ من يقرأ الكلام السابق لا يمكن أن يصدِّق صاحبَه وهو يتحدث في سياق آخر مع مجموعة من مناضلي الحركة الأمازيغية الموقِّعين على «البيان الأمازيغي» سنة ٢٠٠٠، وورد فيه: «نحن الأمازيغ إخوانُ العرب حيثما قطنوا، بحكم انتمائنا إلى الأمة الإسلامية، وبحكم الأواصر القوية التي تَرْبطنا بهم، وبحكم التاريخ المشترك المطبوع بالتآزر في السرّاء والضرّاء، نقاسمهم آمالَهم وآلامَهم، ونناصرهم في كل قضية عادلة. أما مواطنونا المغاربة الذين يعتزّون بعروبتهم، كما نعتزّ نحن بأمازيغيتنا، فنحن وإياهم ذاتٌ واحدة. لا ينبغي أن يَفْتخر منّا ولا منهم بالنسب أحدٌ، لأنّ الاعتداد بالأَرُومة دليلٌ على الخمول وتحايلٌ من أجل نيل الرفعة والجاه والمال دون جهد ولا عمل.»[٥]

وكثيرًا ما سمعنا أنّ العربية مفروضة على شعب المغرب الذي هو في جملته شعب أمازيغي ولا علاقة له بالعربية والشرق. يقول أحدهم: «إنّ الصراع في بلدنا يدور بين ما هو معاش وبين ما هو يوتوبية ممأسسة. العربية ليست لغةَ أيّ أحد. وتعلُّمُها يمرّ عبر الإكراه المدرسي...»[٦]

---

١ ـ Mohamed Boudhan, "Tmazight entre le culturel et le politique," in **Amazighité, debat intelectuel** (Rabat: Centre Tarik ibn Zyad, 2002), p. 11.

٢ ـ Lionnel Galland, "les Berbéres," **Universalis**, p 1009.

٣ ـ G.H. Bousquet, **Les Berbères** (Paris: PUF, 1967). p. 19.

٤ ـ «لا لممارسة الابتزاز على المؤسسة الملكية باسم فلسطين،» في جريدة **تاويزا**، أكتوبر ٢٠٠٣، ص ١١.

٥ ـ بيان بشان ضرورة الاعتراف الرسمي بأمازيغية المغرب، مارس ٢٠٠٠ .

٦ ـ موحا مخلص، «العربية الرسمية رمز لأپارتايد لغوية مقيتة،» جريدة **أكرار** العدد ١٢٨، ٢٠٠٤، ص ٧.

لا يمكن المرءَ إلاّ أن يَنْدهش أمامَ خطاب المناضلين الأمازيغيين الذين يتحدّثون عن الهوية الأمازيغية وكأنّها هوية كلّ المغاربة

صحيح أنّ مثل ذلك الكلام الانفعالي ليس له أيُّ أثر علمي، ولكنّ ما تروِّجه الصحافةُ موجَّهٌ إلى العامة المستهدَفة بالتحريض والتعبئة. ومثلُ هذا المرسلات الدعائية يُمْكن، بتواتره وشيوعه، أن يَعْبث بالعامة ويَقُودها عبر المسارات العدمية وغير الإنسانية. ويؤكِّد الفكرةَ نفسَها صحافيٌّ آخرُ مشهورٌ بمثل هذه التدخلات المحمَّلة بالنعرة العرقية: «أول خطوة يَفْرضها هذا القطع مع الإرهاب الذي يأتينا من المشرق هو الاعتراف الكامل والدستوري والشجاع بالهوية الأمازيغية للمغرب، والإعلانُ رسميًا أنّ المغرب مملكة أمازيغية؛ مع ما يرافق ذلك من ردّ الاعتبار للأمازيغية كلغةٍ رسميةٍ للدولة المغربية، ووضع حدٍّ نهائي صريح، وشجاع كذلك، للتعريب الذي دَمَّرَ عقولَ أبنائنا وحَوَّلهم إلى قنابل موقوتة يفجّرها الوهّابيون عن بعدٍ كلّما أرادوا ذلك.»[1]

وعليه، فإنّ العربية مرفوضة، في هذا التصوّر، لتوهُّم احتلالها مكانَ الأمازيغية؛ والإسلامَ مرفوض لأنّه منقول عَبر اللغة العربية. ولكنْ هل المطالبة بالانفصال عن الشرق، وبتطليق اللغة العربية والإسلام والجامعة العربية، واستبدال اسم المغرب العربي بآخر غير عربي؛ هل كل هذا مبرَّرٌ من مواقع الدفاع عن الهوية الأمازيغية؟ هل يليق بالأمازيغ إعلانُ العداء للعربية، وهي لغةُ نصفِ ساكنة المغرب؟ وعلى مَنْ يراهن المناضلون الأمازيغ لحماية الهوية الأمازيغية؟ لمن ستدرَّس الأمازيغية اليوم وغدًا؟ أليس العرب في المغرب، في النهاية، هم حماةَ الأمازيغية، كما كان الأمازيغ ـ وما زالوا ـ حماةَ العربية؟

والملاحَظ أنّنا حينما نبتعد من مجالات تداول الخطاب النضالي ونقترب من المتكلمين من مواقع الكفاءة العلمية والسياسية والإدارية، نواجه خطابًا معتدلاً ورزينًا ومتسامحًا. وهذا ينطبق على كلام د. أحْمد بُوكُوس، عميد المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، والباحث الحصيف حسن أوْريد، الناطق الرسمي باسم القصر الملكي. يقول الأول: «ليس هناك تناحر بين الأمازيغية والإسلام والعربية بتاتًا؛ فكلُّها مكوِّناتٌ أساسيةٌ تشكِّل هويّتنا الوطنية. علينا أن ننظر إلى العلائق بين هذه المكوِّنات نظرةً مستقبليةً مؤسَّسةً على روح المواطنة والتسامح.»[2] ويقول الثاني: «إنّ للمغرب لغتين وطنيتين، لا ثالثة لهما، هما العربية والأمازيغية. وإنّ مقتضى الوحدة يَفْرض أن تكون لبلدنا لغةٌ رسميةٌ واحدة، وأرى أنها اللغة العربية.»[3] وقد هَيَّجَ هذا التصريحُ الأخير المناضلين الأمازيغيين وأثار حفيظةَ حَمَلَةِ الإيديولوجيا الشمولية أو الكليانية، فتوجَّهوا إليه عبر الصحافة متسائلين إنْ كان يعبِّر عن رأي شخصي أم أنّه يمرِّر رسالةً لجسّ النبض؟!

ومن مظاهر هذه الانغلاقية في خطاب الإيديولوجيين الأمازيغيين تعصُّبُهم لاستعمال الحرف اللاتيني في كتابة الأمازيغية. وقادهم هذا الهياجُ إلى شنّ حملات مسعورة على الحرف العربي الذي جَرَّدوه من تسميته لكي يضعوا له تسمية «الحرف الآرامي،» نكايةً في العرب وإنكارًا لحقيقة كون الحرف العربي حرفًا نَبطيًا من حيث الترتيب التاريخي. وسَهَّلَ عليهم هذا الفَورانُ العاطفي المطالبةَ بكتابة الأمازيغية بالحرف اللاتيني، الذي نَعَتوه بـ «الحرف العالمي» أو «الكوني.»

ولقد كان يوم ٥ أكتوبر ٢٠٠٢ حاسمًا في التبنّي النهائي لاستعمال الحرف اللاتيني خلال الاجتماع الوطني للجمعيات الأمازيغية وصدور «بيان مكناس،» الذي «دعا إلى وصف الحرف اللاتيني بالحرف العالمي، ودعا إلى إدراجه في التعليم العمومي وتقعيدِه ومَعْيرته كحرف رسمي للتدريس والكتابة. وحَمَّل أعضاءَ المجلس الإداري للمعهد المسؤوليةَ التاريخيةَ في الدفاع عن جميع الاختيارات الاستراتيجية المنبثقة عن الحركة

١ ـ في جريدة، **تاويزا**، ع ٨٥ ، ماي ٢٠٠٤، ص ١٩.

٢ ـ «الأمازيغية والاسلام والعربية كلها مكونات أساسية في هويتنا الوطنية،» (حوار) في جريدة **التجديد**، فاتح يناير ٢٠٠٤، ص ٥.

٣ ـ في جريدة **تاويزا**، ماي ٢٠٠٤، ص ١٩.

في الخطاب الأمازيغي: وجهة نظر نقدية

الأمازيغية وتنظيمات المجتمع المدني المساندة لها.»[1] وغنيٌّ عن البيان أنّ ما يقدِّم لغةً ما ليس «الحرفَ،» بل ما يُرْصد لها من إمكانيات مادية ومن مجموعات بحث ومختبرات ومشاريع ابتكار وخلق تَنْدرج ضمن مخططاتٍ عامةٍ للدولة في كل المجالات. وكلّ هذا لا يتسنّى إلاّ للدول ذاتِ المشاريع الكبرى المؤهّلة لمنافسة الدول المتقدمة في شتّى المجالات، ومنها مجالات الابتكار العلمي. ولا يبدو لي أنّ الحرف اللاتيني، حتى لو سميناه «عالميًا» أو «كونيًا،» قادرٌ ـ لمجرد تسميته ـ على اجتراح هذه المهام، وعلى النزال الميداني.

وعلى كلّ حال فإنّ التحزب العاطفي للغرب، عبر الدعوة إلى الانفصال عن الشرق العربي والإسلامي، دون أدنى مراعاة أخلاقية لعواطف المواطنين المغاربة المتعاطفين مع مَنْ يشاركونهم اللغةَ والدينَ والتاريخَ والتطلعَ إلى المستقبل، لَهُوَ عملٌ يستأنف مشروعَ الغزاة الفرنسيين الذين عملوا بكلّ ما أُوتُوا من قوة وذكاء لفصل البربري (أي الأمازيغي) عن العربي حتى يتمكنوا من الاستفراد بكليْهما وتتيسَّر لهم سبلُ الهيمنة. إنّ «تشجيعهم» الأمازيغيةَ لَعَمَلٌ مشبوهٌ؛ وكذلك اعتبارهم البربرَ أو الأمازيغَ ذوي علاقات بالباسك أو السِّلْت. ولو كان الفرنسيون يَعْطفون حقًا على اللغات المحلية أو الهامشية لوَجَّهوا ذلك العطفَ إلى لغاتهم المهمَّشة مثل الباسكية والكورسيكية والبروتونية. ألا يمثِّل دفاعُهم في المغرب عن الأمازيغية، وتكميمُ أفواه الباسك في الوقت عينه، سلوكًا منحطًا من الناحية الأخلاقية؟

على أنّ المناضل الأمازيغي الذي يلطِّخ مَطْلبًا شريفًا، مثلَ إعادة الاعتبار للغة والهوية الأمازيغية بالتعلق ببعض الأوهام الإيديولوجية الاستعمارية، إنّما يساهم في عرقلة تسوية مثل هذه الملفّات بحكمة. ولقد سبق لي أن نبّهتُ على هذه المزالق الاستئصالية: «إنّني، كأمازيغي أضع الانتسابَ إلى الإنسانية الفاضلة فوق كل اعتبار، أرى حقّ الأمازيغي يتلطّخ في الغالب بدعاوى لا علاقة لها إطلاقًا بمطالب الأمازيغيين الشرفاء.»[2]

ولكنّ الأدهى هو تشويهُ الوقائع من قبيل «اختلاق» أصول للأمازيغية غير الحامية السامية، والسعي إلى تطهير الأمازيغية من كل الملامح التي تذكِّر بهذه الأصول المشتركة مع العربية. والحقّ أنّ المعجم العربي الذي وَجَدَ له امتداداتٍ في الأمازيغية ليس ناتجًا عن الآثار العربية المرافقة للفتوحات الإسلامية، التي يتوهّمها المناضلُ الأمازيغي، بل إنّ تاريخ تلك التأثرات والتواشجات العائلية أقدمُ مما يتوهَّم. فلنتأمّلْ قول بُوسكيه:

«لقد طُرح السؤالُ منذ زمن عمّا إذا كانت اللغةُ الأمازيغيةُ الوحيدةَ الباقيةَ من مجموعة من اللغات التي تعرضتْ كلّها للانقراض، أم أنّها تحتفظ بأواصر قرابة مع لغات أخرى معروفة ميتةٍ أو حيةٍ. لقد طُرحتْ في الواجهة أنواعٌ من الأفكار التي لا تحظى بالقبول (مثل قرابتها مع اليونانية أو الباسكية أو اللغات القوقازية) والتي لا تتسم بأية أهمية غير غرابتها. إنّ الأطروحة الأكثر جديةً، التي تتمتع في نظر البعض باليقينية، والتي عُولجتْ منذ زمن بعيد، هي أنّ الأمازيغية قد تشكّل فرعًا من اللغات الحاميّة ـ الساميّة... ومن جهة أخرى فإنّ عددًا كبيرًا من جذور الكلمات مشترك بين اللغتين. كذلك هو الحال بالنسبة إلى الطوارقية. والحال أنّها اللغة الأقل تأثرًا بالغزو اللغوي العربي. ولا يتعلق الأمرُ هنا بالاقتراض المتحقق في عصر متأخر، إذ إنّ الكثير من هذه الجذور تمّ استعمالُها في نقائش تعود إلى أكثر من ثمانية قرون قبل الغزو العربي.»[3]

هذه الأواصر العريقة لا ينبغي أن تُترك لعبثِ أيٍّ كان؛ فالأمر يتعلّق بذاكرة لغوية عميقة وغائرة في التاريخ السحيق، ذاكرة مشتركة بين العربية والأمازيغية. فلننصتْ إلى أصداء هذا الرنين: كلمات أمازيغية في العمود الأول، وفي المقابل الكلمة العربية أو شرحها وتأويلها المعجمي. ولننظرْ إلى التقاطعات المدهشة ما بين الصنفين:

---

١ ـ www.attajdid.ma

٢ ـ الدكتور محمد الولي، «الموضوعات الحجاجية الكبرى في المغرب،» في مجلة **علامات**، العدد ١٩، المغرب، ٢٠٠٣، ص ١٣٦ـ ١٣٧.

٣ ـ G.H. Bousquet, "Les berbères," op cit., 1967. p .21-22.

لو كـان الـفـرنسـيـون يَعطفـون حـقـًا على اللغـات المحليـة أو الهـامـشـيـة لوجّـهـوا ذلك العطفَ إلى الباسكية والكورسيكية والبروتونية

الكلمة الأمازيغية الريفية	المقابل العربي أو شرحها
أرْمَذْوَذْ	مِذْوَد
أَمَنْس	ما يُؤْكل في المساء
ادَّمْنَتْ	دمنة
ثَوْثَمْتْ	أنثى
ثَوَّرْثْ	باب (ربما لأنها تواري)
ثسْوَرْتْ	غطاء (لأنه يواري)
وَطُّ	السقوط أو الوطء
يَرَدَّفْ	تبعه، أردفه
أَخَرّقْ	الكذب (من الخرق)
يَسْمُقُّرْ	ينظر مليًا (من المقلة)

والواقع أنّ هناك سـجـلاً طويلاً من هذا الجنس من الكلمـات المتقاطعة مع أخوات لها في العربية، وهي تمثّل ذلك الإرثَ المشتركَ والذاكـرةَ الجـمـاعـيـةَ التي تسـتظلّ بالأصـول السـاميّـة.[1] وإنّ المحاولات المحمومة الآن لتطهير الأمازيغية الريفية من هذه الكلمات ستؤدّي في الآجال المنظورة إلى طمس تاريخ هذه اللغة ووشائجها باللغات التي ترتبط بها في شجرة اللغات السـاميـة. والحقّ أنّ إبطال هذا التاريخ سيجعل من هذه اللغة كيانًا لقيطًا عديمَ الأبوّة التاريخية والأمومة المشتركة مع عديد من اللغات الحاميّة الساميّة.

على طريق طرح إنساني

إذا كـانت الأمـازيغيـة قـضـيـة عـادلة، فلماذا تلطيخُـهـا بشـتم العـروبة؟ ولماذا النكايةُ في الشـعـب الفلسطيني؟ ولماذا شـدُّ الرِّحال إلى الكيان الصهيوني وعرضُ الدخول معهم في تحالف لمقاومة العرب «العدوّ المشترك»؟ لقد قام أحدُ «مناضلي» الحركة الأمازيغية خطيبًا في الكنيسيت الإسرائيلي قائلاً: «نحن وإياكم نواجه عدوًا واحدًا، هـو العدو العربيّ المشترك.»[2] فيا لها من ردود فعل منحطّة تلك التي تناصر الصـهيونية نكايةً في العرب والعربية؛ إنّها أحطُّ أسلوب للدفاع عن الهوية الأمازيغية.

وقد عبّر أحدُ الإسلاميين عن هذا الموقف حينما قال: «هناك اليوم ترويجٌ لخطاب أنّ العرب مستعمِرون للمغرب، ولخطابٍ عدائيٍّ عنصريٍّ تجاه اللغة العربية. وأخشى أن يكون تبنّي دعوة الفصل بين الدين والسياسة المقصودُ منه إبعادُ العربية، بحكم أنّها هي الوعاءُ الذي مرَّ عَبْره الإسلامُ إلى المغرب والعكس صحيح... إنّنا نلامس تصـاعـد خطابٍ عنصـري، الهدفُ منه إرباكُ الإجمـاع الوطني وخلقُ مشاكل عرقيةٍ داخل المغرب.»[3]

الملاحَظ في الخطاب الهوياتي الأمازيغي أنّ الجزء الأكبر منه لا ينصبّ على الهـوية حـقًـا، بل ينصـرف إلى الحطّ من العـرب والعروبة والإسلام وإلى تملّق الغرب وفرنسا بالخصوص، بل والصهيونية. وإنّني كأمازيغي أجد لغتي الأمازيغيةَ تتلطخ في كل لحظة عبر خلطها بهموم لا علاقة لها بالهوية. بل أجدني أتألّم من كون الأمـازيـغ المعرَّضين لكل أنواع المعـاناة (البطالة الأمية، الفقر، التهميش، هدر الكرامة الإنسانية) لا يَحْظَوْن من المناضلين الأمازيغيين بأدنى اهتمام أو عناية، بمعنى أنّ البعد الاجتماعي يكاد يغيب في هذا الخطاب.

محمد الولي

أستاذ التعليم العالي في البلاغة والنقد. من مؤلفاته: **الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي**. له عدد كبير من الترجمات في النظرية الشعرية.

١ ـ يذهب أ. روسلير O. Rössler إلى حد إدماج الأمازيغية ضمن الفرع السامي الذي تُعتبر العربيةُ جزءًا منه، ويُبْعدها عن موقعها الشائع بين المصرية القديمة والقبطية. نقلاً عن ليونيل غالان في «Les berbères» في الموسوعة **Universalis**.

٢ ـ المقرئ الإدريسي أبو زيد، مجلة **الفرقان**، العدد ٤٩، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص ٤٩.

٣ ـ حوار مع مصطفى المعتصم، الأمين العام لحزب البديل الحضاري، في جريدة **الصحيفة**، ٢٣ ـ ٢٩ يناير ٢٠٠٤، ص ١٩.